دراسات فى العلوم الإنسانية
٣٣(١)، الربيع ١٤٤٧/١٤٠٥/٢٠٢٦، صص ٢٧-٤٨
ISSN: 2538-2160
http://aijh.modares.ac.ir
مقالة محكمة

البنية البيروقراطية لديوان البريد في الدولتين الأموية والعباسية: دراسة أوجه الاشتراك فيهما على أساس نظرية ماكس فيبر

محمد حسن بيگي[١]*، نسرين غلامي مهرآبادي[٢]

١. أستاذ مشارك في قسم التاريخ، جامعة أراك، أراك، إيران.
٢. خريجة تاريخ الإسلام، ومدرسة مادة التاريخ في إدارة التربية والتعليم للمنطقة الأولى، أراك، إيران.

الملخص

إن ديوان البريد بوصفه أحد المنظمات الرئيسية في الدولتين الأموية والعباسية، كان يلعب دورا حيويا في الحفاظ على الاستقرار السياسي، والأمن الداخلي، والتعاملات الإقليمية. تجري هذه الدراسة بحثا مقارنا لبنية ديوان البريد وأدائه وتطوراته خلال الفترتين المذكورتين، وذلك بالاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي ونظرية البيروقراطية لماكس فيبر. وتظهر النتائج أن ديوان البريد قد اعتمد كنموذج أولي للنظام الإداري ما قبل الحداثة لامتلاكه خصائص بيروقراطية لنمط ويبري كالتسلسل الإداري، وتقسيم المهام التخصصية، والتوظيف على أساس الكفاءة النسبية، والعقلانية في نقل المعلومات. وكان التسلسل الهرمي لهذا النظام يشمل رئيس الديوان (صاحب البريد)، والرسل، والمخبرين (العيون)، وموظفي فتح الرسائل، ولكل منهم وظائف معينة في المجالات البريدية، والاستخبارات أو التجسس، والرقابة. وعلى الرغم من أن اختيار بعض مسؤولي البريد من الأسر الخاصة أو المهنيين المدربين كان يبتعد قليلا عن فكرة "الجدارة المطلقة" التي طرحها فيبر، إلا أن التركيز على التدريب المتخصص والالتزام بالشؤون الأخلاقية كالصدق والوفاء كان يعد محاولة لإنشاء نظام فعال. علاوة على ذلك، استخدام تقنيات الاتصال كالبريد البري والبحري، والحمام الزاجل، وأنظمة التشفير من أجل التسريع وتحقيق الأمن في نقل المعلومات كان انعكاسا للعقلانية الوظيفية. ولم يكن لهذا النظام دور محوري في الإشراف على الولاة ومكافحة الاضطرابات فحسب، بل كان أي نقص فيه أو انقطاع في اتصالاته يعد عاملا مؤثرا في سقوط الدول.

الكلمات المفتاحية: ديوان البريد، الأمويون، العباسيون، أوجه الاشتراك، ماكس فيبر.

* الكاتب المسؤول: Email: m-hassanbeigi@araku.ac.ir

مقدمة

في العصور الماضية، كان استقرار الدول وقوتها يعتمدان دائما على وجود أنظمة يمكنها تسهيل التواصل بين مركز الحكم ومختلف أرجاء الدولة، ورصد الأخبار والأحداث، وممارسة رقابة دقيقة على أداء العمال والولاة المحليين. وبين الدول الإسلامية، تعد الدولتان الأموية والعباسية الدولتين الرئيستين في العالم الإسلامي، اللتين واجهتا تحدي إدارة أقاليم شاسعة تمتد من الأندلس إلى آسيا الوسطى. هذا التوسع الجغرافي، مصحوبا بالتنوع الثقافي والسياسي، استلزم إنشاء آليات منظمة للحفاظ على التماسك الداخلي، ومنع الاضطرابات والتمردات، وضمان أمن الحدود. وفي هذا السياق، لم يكن ديوان البريد نظاما للتواصل فقط، بل كان بمثابة عيون الحكومة المركزية وآذانها ولعب دورا فريدا في تحقيق هذه الأهداف. إن ديوان البريد، الذي تعود جذوره إلى التقاليد الإدارية ما قبل الإسلام، _ولاسيما نظام البريد عند الساسانيين والرومان_ تم تنظيمه رسميا في العصر الأموي، ووصل إلى ذروة تطوره والتعقيد في بنيته في العصر العباسي.

هذا النظام، بالإضافة إلى مهمته في نقل الرسائل والبضائع، أصبح أداة حيوية لجمع المعلومات السرية، ومراقبة الولاة، وكشف المؤامرات الداخلية والخارجية. وكانت شبكة واسعة من موظفي البريد _من الرسل الراكبين إلى الجواسيس السريين _ تنقل الأخبار بسرعة من أبعد نقاط الدولة الإسلامية إلى مركز الحكم. فكانت التقارير اليومية عن معيشة الناس، وأسعار السلع، وأداء الحكام تصل مباشرة إلى يد الخليفة، مما يتيح اتخاذ قرارات سريعة. حتى في بعض الحالات، كانت التغييرات المفاجئة في أسعار القمح أو شكاوى الناس ضد الولاة تكتشف وتتابع فورا عبر هذا النظام. لم تقتصر وظائف ديوان البريد على المجالات الأمنية والسياسية فحسب، بل كان له تأثير في الشؤون الاقتصادية والعسكرية وحتى الثقافية. فتنسيق اللوجستيات في الحروب، واستخدام رواة القصص لتشكيل الرأي العام، كان جزءا من الأنشطة متعددة الأوجه للبريد. ومع ذلك، كان الجوهر الأساسي لطبيعة هذا النظام هو "المعلومات"؛ المعلومات التي سمحت للحكام بالحفاظ على سيطرتهم على الإمبراطورية في خضم التنافسات الداخلية والتهديدات الخارجية. إن دراسة القواسم المشتركة لديوان البريد في كلتا الفترتين الأموية والعباسية لا تكشف عن بناء هذا النظام ووظيفته فقط، بل تظهر أيضا كيف أثرت التطورات السياسية وتوسع الدولة في أساليب المراقبة والاتصالات. فعلى سبيل المثال، بينما ركز الأمويون بشكل أكبر على المراقبة المباشرة للولاة ومكافحة التمردات القبلية، قام العباسيون بإنشاء «ديوان البريد والخبر»، مما جعل نظام التجسس أكثر منهجية وحولوه إلى أداة لاستطلاع الرأي العام وإدارة الأزمات الاقتصادية. كما أن الاعتماد الشديد للحكومة على هذه الهيئة كان أحيانا يتحول إلى نقطة ضعف قاتلة؛ فقد كانت قطع الاتصالات البريدية أو الخلافات الداخلية أمثلة على التأثيرات المدمرة لضعف ديوان البريد على الاستقرار السياسي.

تبرز أهمية دراسة ديوان البريد من خلال نظرية البيروقراطية لماكس فيبر في إيضاح هذه الحقيقة التي تفيد بأن هذا

الديوان يمثل أحد النماذج التاريخية الأولية لتنظيم الإدارة العقلانية في الحضارة الإسلامية. تقدم هذه النظرية، بمبادئ كالتسلسل الإداري، وتقسيم العمل المتخصص، والتوظيف القائم على الكفاءة، والموضوعية في العلاقات الإدارية، إطارا تحليليا فعالا لفهم آليات الرقابة والإدارة في هذا النظام. ومن خلال هذا الإطار النظري، يمكن القول أن ديوان البريد، على الرغم من نشأته في سياق ثقافي مغاير للعصر الحديث، يعكس في العديد من جوانبه النموذج البيروقراطي العقلاني ويساهم في تعزيز قوة الدولة ومركزيتها.

إن هذا البحث، من خلال التركيز على القواسم المشتركة والمتغيرات لديوان البريد في الفترتين التاريخيتين، يكشف عن دور هذا النظام بوصفه ركيزة مهمة لإدارة الدولة الإسلامية. ويبدو أن التعرف على آلياته يفتح نافذة نحو إدراك طبيعة الحكم في العالم الإسلامي.

أسئلة البحث

١–ما مكانة ديوان البريد في البناء السياسي والإداري للدولتين الأموية والعباسية؟

٢–ما أوجه التشابه والاختلاف بين وظائف الرقابة والتجسس والاستخبارات لهذا الديوان في كلتا الدولتين الأموية والعباسية؟

٣–ما مدى انطباق بنية ديوان البريد ووظائفه على مبادئ البيروقراطية العقلانية لماكس فيبر؟

الدراسات السابقة

لطالما كان دراسة المؤسسات الرقابية والاستخباراتية في الدول الإسلامية، وخاصة ديوان البريد، محط اهتمام باحثي التاريخ الإداري والسياسي. وفي هذا السياق، تتم الإشارة إلى ثلاث دراسات تناولت أبعادا مختلفة لهذا الديوان في مدد زمنية متباينة:

١. مقال "الدور السياسي – الأمني لديوان البريد في الخلافة الإسلامية". إعداد جهانبخش ثواقب، نشر في مجلة "تاريخ الثقافة والحضارة الإسلامية" عام ٢٠١٧. يركز هذا البحث على عهد حكم الأمويين والعباسيين، حيث يحلل دور ديوان البريد بوصفه عمودا فقريا للنظام الإداري في الخلافة الإسلامية. ويظهر الكاتب بالاعتماد على المصادر التاريخية أن هذا النظام لم يكن مسؤولا عن نقل الرسائل والطرود فحسب، بل كان له دور حيوي في جمع المعلومات السرية، ومراقبة الولاة، وإحباط المؤامرات الداخلية والخارجية. على سبيل المثال، كانت التقارير اليومية عن الأحوال المعيشة وأداء الحكام تتيح للخلفاء اتخاذ قرارات سريعة. ويؤكد البحث على مكانة صاحب البريد بوصفه "عين الخليفة وأذنه" ويشير إلى أن ضعف هذا النظام، لاسيما قطع الاتصالات البريدية، أدى إلى سقوط الأمويين.

٢. مقال "تطورات ديوان البريد في عصر بيبرس في مصر والشام". إعداد أحمد بادكوبه هزاوه وقدرية تاج‌بخش، نشر عام ٢٠١٠ هـ.ق في مجلة دراسات في العلوم الإنسانية، يتناول هذا البحث تطورات ديوان البريد في عصر المماليك تحت حكم بيبرس. ويرى المؤلفان أن بيبرس _بإنعاشه لهذا النظام_ حوله إلى أداة فاعلة لمواجهة تهديدات المغول والصليبيين. في هذه المدة، أدى ديوان البريد دورا مهما في أمن الأراضي الخاضعة لحكم المماليك من خلال إنشاء شبكة من محطات الاتصال واستخدام إشارات بصرية (كالنيران والدخان) ومراقبة الحدود. كما يشير البحث إلى تداخل مهام ديوان البريد مع مؤسسات أمنية أخرى وأهمية التشفير في إرسال الرسائل.

٣. مقال "دراسة مقارنة بين ديواني الأشراف والبريد في مدتي الغزنويين والسلاجقة" تأليف شهناز مسلمي، ٢٠١٣ في مجلة تاريخ پژوهی. يبحث هذا المقال المقارن في الاختلافات الوظيفية بين ديواني الأشراف والبريد في مدتي الغزنويين والسلاجقة. وتظهر النتائج أنه في مدة حكم الغزنويين كان ديوان الأشراف يشرف أساسا على التفتيش والتجسس، وبالتعاون مع ديوان البريد كان يراقب أداء المسؤولين. أما في عهد السلاجقة، فقد توسعت صلاحيات ديوان الأشراف لتشمل الشؤون المالية والزراعية، في حين تم إحياء ديوان البريد تدريجيا نتيجة لتهديدات الإسماعيليين.

إن الأبحاث السابقة كانت تركز في الغالب على حقب محددة من التاريخ الإسلامي، وتناولت جوانب مختلفة من ديوان البريد. مع ذلك، فإن المقارنة التحليلية لبنية ووظائف هذا النظام في عهدي الأمويين والعباسيين _خاصة مع التركيز على الجوانب المشتركة والتطورات الناتجة عن توسع الأراضي_ كانت أقل اهتماما.

تهدف الدراسة الحالية إلى سد هذه الفجوة، وبالاعتماد على تحليل الوثائق التاريخية تبين كيف أن ديوان البريد، بوصفه نموذجا للبيروقراطية ما قبل الحداثة، لم يقتصر دوره على الحفاظ على الأمن فحسب، بل ساهم أيضا في تشكيل السياسات الاقتصادية والثقافية للدول الإسلامية.

الإطار النظري

يعرف عالم الاجتماع الألماني ماكس فيبر، في أثره "الاقتصاد والمجتمع"، البيروقراطية كأحد أشكال التنظيم العقلاني الذي يستند إلى مبادئ محددة. فيرى فيبر أن البيروقراطية هي النظام الأكثر كفاءة لإدارة المنظمات الكبيرة، لأنها تزيل العلاقات الشخصية وتركز على القواعد الموضوعية، مما يتيح التنبؤ والثبات. (فيبر، ١٣٩٤)

تشمل المبادئ الأساسية لنظرية فيبر في البيروقراطية ما يأتي:

١.التسلسل الهرمي الإداري: تعتمد البيروقراطية على بناء هرمي تكون فيه لكل مستوى مسؤوليات وسلطات محددة. يضمن هذا التسلسل الهرمي النظام والتماسك في الإدارة، ويتيح الرقابة الدقيقة على أداء المرؤوسين. (المصدر

نفسه: ٢٥٦)

٢.تقسيم المهام المتخصصة: في المنظمة البيروقراطية، يتم تقسيم المهام بدقة وتخصص بين الأركان المختلفة والأفراد، هذا التخصص يزيد من الكفاءة والدقة في إنجاز الأعمال. (المصدر نفسه: ٢٤٣)

٣.القوانين المكتوبة والتنميط: تنفذ الأنشطة والمهام في المنظمة البيروقراطية بناء على قوانين ولوائح محددة ومكتوبة. تؤدي هذه القوانين إلى التوحيد والتنميط وإمكانية التنبؤ بأداء المنظمة.

٤.التوظيف على أساس الكفاءة والجدارة: في بنية البيروقراطية، يجري التوظيف على أساس الكفاءة والمعرفة والقدرات، لا على أساس العلاقات العائلية أو الشخصية. (المصدر نفسه: ٢٥١)

٥. تجرد العلاقات من الطابع الشخصي: في البيروقراطية، تحدد العلاقات بناء على القوانين والمهام، ولا تعتمد على الخصائص الشخصية للأفراد. فتجرد العلاقات من الطابع الشخصي يقلل من التحيز والظلم. (فيبر، ١٣٩٤: ٢٥٤) على هذا الأساس، يعد ديوان البريد ككيان إداري واستخباري في الخلافة الإسلامية، لاسيما خلال الفترتين الأموية والعباسية، يعد نموذجا لبنية بيروقراطية تعكس مبادئ فيبر في العديد من جوانبه.

١.التسلسل الهرمي الإداري: كان ديوان البريد يتمتع ببنية هرمية واضحة، حيث كان رئيس الديوان، الملقب بـ (صاحب البريد) يتولى القمة. وشملت وحداته الفرعية: السعاة (الرسل)، والمراقبين/الجواسيس (العيون)، وموظفي فتح الرسائل. وفي العصر العباسي، كان صاحب البريد يقدم تقاريره مباشرة إلى الخليفة ويشرف على شبكة الجواسيس والرسل. (القلقشندي، ١٤٠٧هـ: ج١٤، ص٤١٢) يعد هذا البناء نموذجا واضحا لمبدأ "تركيز السلطة" في إطار منظم، وهو ما أشار إليه فيبر كإحدى السمات الأساسية للبيروقراطية. (فيبر، ١٣٩٤: ٢٥٦)

٢. تقسيم المهام التخصصي: انقسم ديوان البريد إلى عدة أقسام متخصصة، لكل منها وظائف محددة:

- البريد الأرضي أو البري: لنقل الرسائل بسرعة باستخدام الخيول والإبل.
- البريد البحري: لإرسال الأخبار عبر البحر.
- الحمام الزاجل وأنابيب القصب: طرق مشفرة لنقل الرسائل السرية.

يتوافق هذا التقسيم مع مبدأ التخصص لدى فيبر، لأنه كانت لكل قسم مسؤولية محددة، وتؤدى المهام بطريقة احترافية. (المصدر نفسه: ٢٤٣)

٣. القوانين المكتوبة والتنميط: كانت هناك تعليمات دقيقة لإرسال التقارير والمعلومات. على سبيل المثال، في عهد الخليفة العباسي المنصور، كانت التقارير اليومية ترسل بانتظام من الولايات إلى مركز الخلافة. وكان الخليفة يعالج التقارير بعد صلاتي المغرب والفجر. (الثواقب، ١٣٩٦: ١٠٢) هذا المنهج يدل على وجود قواعد مكتوبة وإجراءات موحدة،

والتي يعتبرها فيبر من العناصر الرئيسة للبيروقراطية. (فيبر، ١٣٩٤: ٢٤٥)

٤. التوظيف على أساس الكفاءة والجدارة: على الرغم من أنه في بعض الأحيان يتم تنصيب «أصحاب البريد» من عائلات معينة مثل الخصيان (بالفارسية: خواجه سرايان) في العصر العباسي، إلا أن التدريب المتخصص للجواسيس والتركيز على سمات مثل الصدق والولاء والذكاء كان دليلا على أنهم كانوا يميلون إلى الاختيار بناء على الكفاءة النسبية. حيث يقول نظام الملك في كتابه "سياست نامه": «يجب أن تسند هذه المهمة لمن لا يشوبهم سوء ظن». (نظام الملك، ١٣٦٤: ٧٥) فيتوافق هذا الأصل مع التوظيف على أساس الكفاءة والجدارة في نظرية فيبر. (فيبر، ١٣٩٤: ٢٥١)

٥.تجرد العلاقات من الطابع الشخصي: كان عمل ديوان البريد قائما على قواعد موضوعية. وكان تقييم التقارير المرسلة من الولايات بناء على فحواها، بغض النظر عن هوية المرسل. وفي حالات مثل الشكاوى ضد الولاة كان الخليفة يتخذ قراره بناء على الوثائق المستلمة من البريد فقط. (المسعودي، ١٣٦٠: ج٢، ص١٢١) يتفق هذا النهج مع مبدأ الطابع غير الشخصي للعلاقات الذي يؤكد عليه فيبر. (فيبر، ١٣٩٤: ٢٥٤)

لقد احتوى ديوان البريد في الدولتين الأموية والعباسية _على الرغم من الاختلافات التاريخية_ على العديد من سمات البيروقراطية المثالية لدى فيبر. لقد حول البناء الهرمي، وتقسيم المهام المتخصصة، وتوحيد الإجراءات، هذا النظام إلى أداة فعالة لإدارة الإمبراطورية الإسلامية الشاسعة. وعلى الرغم من أن بعض التعيينات العائلية والاعتماد على شبكات السلطة كانت تتعارض جزئيا مع مبدأ الجدارة عند فيبر، إلا أن التركيز على التدريب والقوانين المكتوبة والإدارة اللاشخصية يدل على محاولة الاقتراب من نموذج فيبر العقلاني.

تشكل ديوان البريد في العالم الإسلامي

إن إحدى المنظمات التي ارتبطت ارتباطا وثيقا بالاستقرار السياسي والأمني للحكام منذ زمن بعيد، والتي كان لها القدرة على ترسيخ سلطة الحاكم وتنميتها وأمنها أو إضعافها هي المنظمات الاستخباراتية وأجهزة التجسس. فكان استخدام الجواسيس وتوظيفهم محط اهتمام الحكومات كافة، حيث معظم الحكام استخدموا الجواسيس للحصول على المعلومات المتعلقة بالرعايا والوزراء وكبار الضباط والمرتبطين بالأمراء وعائلاتهم وكذلك الأعداء الخارجيين.

تأسست تشكيلات البريد في العالم الإسلامي على غرار محطات البريد (بالفارسية: چاپارخانه) ونظام الرسائل في العصر الساساني وإمبراطورية الروم، حيث تم توظيفها على نطاق واسع من قبلهم. (القلقشندي، ١٤٠٧هـ: ٤١٢/١٤) وبما أن الرسل وعملاء البريد كانوا ينقلون مكاتبات متنوعة تحتوي على أخبار وتقارير من جميع المناطق إلى مركز الخلافة، فقد دعت الحاجة إلى إنشاء ديوان مستقل [ديوان البريد] لاستلام هذه المكاتبات.

ويطلق اسم "ديوان البريد" على النظام الذي لم يقتصر دوره على البريد والاتصالات والنقل فحسب، بل كانت وظيفته الأساسية ذات طابع سياسي أمني واستخباراتي. ولذلك، تمتع هذا الديوان ومن يتولون شؤونه صلاحيات واسعة، خاصة في مجال جمع الأخبار والمعلومات وعمليات التجسس، والإشراف على مسؤولي الدولة، وإحباط تحركات المتمردين والمعارضين.

مكانة ديوان البريد في عهد الأمويين

إن تأسيس ديوان البريد في العهد الأموي، بوصفه نظاما بيروقراطيا، كان استجابة للحاجة إلى تنظيم عقلاني لإدارة الإمبراطورية الإسلامية المترامية الأطراف. وقد استلهم ديوان البريد الأموي من الأنظمة البريدية الساسانية والرومانية، ودمج في بنائه مبادئ وأصولا تتوافق مع نظرية البيروقراطية لماكس فيبر، خاصة في مجالات التسلسل الهرمي الإداري وتقسيم المهام التخصصية. وتعود البداية الرسمية لهذا النظام إلى عهد معاوية بن أبي سفيان، حيث تم تأسيسه بناء على اقتراح من موظفيه في العراق ومستشاريه الشاميين، وكان هدفه الأساسي هو التسريع في نقل الأخبار من المناطق النائية كالعراق وبلاد فارس ومصر إلى دمشق.

أتاح هذا النظام الرقابة المركزية على الأراضي الشاسعة، مما يدل على سعي الأمويين لإنشاء بناء يستند إلى العقلانية، وفقا لمفهوم العقلانية الأداتية (Instrumental Rationality) في نظرية فيبر (القلقشندي، ١٤٠٧هـ: ٤١٣/١٤). وقد نسب البعض تأسيس ديوان البريد إلى عبد الملك بن مروان، لكن دوره كان يتركز بشكل أكبر في مجال تطوير وتدعيم هذا النظام. إذ زاد عبد الملك _من خلال توسيع بنية البريد_ من أهميته بشكل كبير، لدرجة أنه كان يتلقى تقارير عاجلة من حاملي البريد في كل ساعة من الليل أو النهار. (المصدر نفسه: ٤١٣)

اتبعت بنية ديوان البريد تسلسلا إداريا محددا. ورئيس الديوان المسمى بصاحب البريد كان في القمة، وكان يشرف على عمل المجموعات التابعة له كالمراسلين، والخبراء (العيون)، وعمال فتح الرسائل. فهذا الترتيب يدل على تركيز السلطة في البنية الإدارية التي يعتبره فيبر شرطا ضروريا لكفاءة البيروقراطية. (فيبر، ١٣٩٤: ٣٢٠) وكان الجواسيس الرسميون الذين يطلق عليهم لقب "صاحب الخبر" يعملون تحت إشراف الديوان، وأحيانا كانت مسؤوليتهم تنقل وراثيا إلى عائلات معينة. (حموي، ١٩٩٣: ٥/٢٢٠٢) وإلى جانب هذا التجسس، كانت هناك شبكة من الجواسيس غير الرسميين الذين كانوا يعينون سرا من قبل الخلفاء أو الأمراء لتقديم تقارير تكميلية. وكان هؤلاء الجواسيس غير الرسميين، بسبب أنشطتهم الخفية، يفتقرون إلى نظام إداري محدد، وهناك معلومات قليلة عن كيفية عملهم. ومع ذلك، تؤكد المصادر التاريخية أن الخلفاء والأمراء الأمويين كانوا قد نشروا هذه الجواسيس في صفوف الأعداء وحتى داخل أراضيهم.

(مسعودي، ١٣٦٠: ٣/٣٠٧؛ بلعمي، ١٣٦٦: ٢/٩٣٧)

كان للتجسس في هذه الفترة أهمية كبيرة حتى أن عبد الحميد بن يحيى الكاتب في رسالة إلى ولي عهد مروان بن محمد أكد على ضرورة استخدام جواسيس يتمتعون بصفات مثل الصدق والذكاء والمعرفة بالجغرافيا الإقليمية. (كرد علي، ١٣٧٤هـ: ١/١٩٢-١٩٣) هذا التأكيد يدل على الميل إلى اختيار الأشخاص بناء على الكفاءة النسبية، على الرغم من أنه لم يكن متطابقا تماما مع مبدأ الجدارة في نظرية فيبر(Meritocracy).

كان يتم اختيار الجواسيس عادة من بين الأفراد ذوي المناصب الحكومية مثل الوزراء، والكتاب، والولاة، والجند، ولكنهم كانوا يختارون أحيانا من طبقات اجتماعية أخرى أيضا. كانت دوافعهم تتمثل في المصالح الشخصية أو المالية، أو حتى بسبب الإكراه، ولكن الشرط الرئيس لنشاطهم كان الوفاء والموثوقية تجاه الحكومة المركزية. لم تقتصر وظائف ديوان البريد على مجال المعلومات والأمن فحسب، بل كان لهذا النظام دور في الشؤون الاقتصادية والثقافية أيضا. على سبيل المثال، استخدم الوليد بن عبد الملك نظام البريد لنقل المواد الزخرفية من القسطنطينية إلى دمشق من أجل بناء الجامع الأموي في دمشق والأماكن الدينية الأخرى. (القلقشندي، ١٤٠٧هـ: ١٤/٤١٣) وفي عهد عمر بن عبد العزيز، عزز ديوان البريد تنظيماته وزاد من إشرافه على القبائل العربية في خراسان، فارتفعت تكاليفه بشكل ملحوظ. (كسائي وبركنيسي، ١٣٧٦هـ: ٣/٣٢١) هذه التغييرات كانت علامة على الجهود المبذولة للتنميط (Standardization) وتحسين كفاءة النظام بشكل عام.

وأما في بعض الأحيان أصبح اعتماد الدولة الأموية على ديوان البريد نقطة ضعف قاتلة، وفي أواخر هذه الفترة، كان انقطاع الاتصال بين العراق وخراسان، الذي أدى إلى سقوط الأمويين، مثالا على التأثير المدمر للاضطراب في شبكات المعلومات على الاستقرار السياسي. (القلقشندي، ١٤٠٧هـ: ١٤/٤١٣) فهذا الاعتماد، وفقا لنظرية فيبر، يظهر أن البيروقراطية ليست أداة لإدارة الأمور فقط، بل هي جزء لا يتجزأ من بناء السلطة.

لقد قدم ديوان البريد في العهد الأموي نموذجا أوليا للبيروقراطية العقلانية من خلال جمعه بين التسلسل الهرمي الإداري، وتقسيم المهام التخصصي، والتركيز على المعلومات. وعلى الرغم من أن القيود التاريخية التي أحاطت به، لم يقتصر دور هذا النظام على تسهيل النقل السريع للرسائل ومراقبة الموظفين فحسب، بل عمل أيضا كأداة لترسيخ السلطة السياسية والأمنية للخلفاء. إن دور الديوان في إدارة الأراضي الإسلامية الواسعة يدل على جهود الدولة الأموية لإنشاء آلية منتظمة وعقلانية، وفقا لأهداف نظرية البيروقراطية عند فيبر.

مكانة الديوان في الدولة العباسية

في الخلافة العباسية التي تأسست وفق أصول الساسانيين وقواعدهم وعاداتهم، نال البريد أهمية بالغة. وفي هذا العصر، بلغ ديوان البريد ذروة تطوره وتعقيده البنائي كنظام بيروقراطي. إذ أجرى العباسيون تعديلات على تنظيم وشرح وظائف بعض الدواوين التي ورثوها، وأطلقوا عليها اسم "ديوان البريد والأخبار". (إنصاف بور، ١٣٥٦هـ: ٣٢٣)

وقد صمم الخلفاء العباسيون، وخاصة المنصور وهارون الرشيد، آلية عقلانية لجمع المعلومات، ومراقبة الموظفين، وإدارة الأزمات من خلال إنشاء شبكة من ٩٣٠ مركزا للبريد في جميع أنحاء الإمبراطورية (ابن خرداذبه، ١٣٧٠: ١٢٨)، وهو ما ينسجم مباشرة مع مبادئ البيروقراطية لدى فيبر. وكان التسلسل الهرمي الإداري في ديوان البريد العباسي واضحا بشكل ملحوظ. وكان رئيس الديوان، عادة ما يختار من بين الشخصيات البارزة أو الخدم الموثوقين للخليفة، ويتربع على قمة هذا النظام (حسن، ١٣٧١هـ: ٢/٢٣٥-٢٣٦) وعلى سبيل المثال، تولى جعفر البرمكي مسؤولية هذا المنصب خلال عهد حكم هارون الرشيد. (حتى، ١٣٦٦هـ: ١٤/٤٦٩) وكان جهازه الإداري يتضمن موظفي البريد، والجواسيس، والمفتشين السريين، حيث كان كل منهم يعمل في مجال المهام المحددة لهم. هذه التسلسلات الهرمية، وفقا لنظرية فيبر، كانت توفر إمكانية التحكم المركزي واتخاذ القرارات بسرعة. حتى أن الخليفة نفسه كان يتفقد الأوضاع في بعض الأحيان، أو يعين مبعوثين خاصين لمراقبة الوزراء والقضاة والحكام، الذين كانوا يقدمون تقاريرهم إليه مباشرة. (زيدان، ١٣٦٩هـ: ١٨٦-١٨٧) حيث كتب المنصور إلى أحد عماله بعد أن وصلت تقارير بعض مراقبي البريد إليه: "كثر شاكوك وقل شاكروك، فإما اعتدلت وإما اعتزلت". (الخضري، ١٤٢٣هـ: ٨٢)

إن المنصور العباسي كان يعرف المهام التخصصية في هذا النظام الذي يشمل أربعة أركان رئيسة وهي القاضي، وصاحب الشرطة (رئيس الشرطة)، والمستوفي (المسؤول عن الضرائب)، وصاحب البريد. وكان يعتقد أن الدولة ستسقط في الفوضى بدون وجود هذه الأركان. (الطبري، ١٣٦٣هـ: ١١/٤٩٩٤) ولم يقتصر دور ديوان البريد على نقل الرسائل فحسب، بل كان مسؤولا أيضا عن التجسس، واستطلاعات الرأي العام وحتى تنظيم أسعار السلع. وعلى سبيل المثال، كان موظفو البريد يسجلون أسعار القمح، والجلود، والسلع الأساسية الأخرى، وفي حالة الزيادة غير العادية في الأسعار، كان الخليفة نفسه يصدر أمرا بالتحقيق فيها وإصلاح الأمور. (حسن، ١٣٧١هـ: ٢٣٥-٢٣٦) ويعد هذا الأسلوب هو انعكاسا لمبدأ العقلانية الأداتية (Weberian Instrumental Rationality) الذي يركز على التنميط (Standardization of Processes).

وكان وجود القوانين المكتوبة وعدم شخصية العلاقات ملحوظا في عمل ديوان البريد. كانت التقارير اليومية تصل إلى الخليفة من الولايات على نوبتين، صباحا ومساء، وبناء على هذه الوثائق، كان الخليفة يتخذ قرارات مثل عزل الولاة

الظالمين أو تعديل الأسعار. (المصدر نفسه: ٢٣٦) حتى في بعض الظروف مثل الخلاف بين المأمون والأمين، كان انقطاع الاتصال البريدي بين بغداد وخراسان دليلا على أهمية هذا النظام في الحفاظ على التماسك السياسي. (الطبري، ١٣٦٣هـ: ٥٤١١/١٢) كانت هذه الأمور، وفقا لنظرية فيبر، غير شخصية ومبنية على قواعد موضوعية لتقليل الاعتماد على أفراد معينين. ومع ذلك، فإن حالات مثل تعيين الخصيان (خواجه سرايان) لرئاسة ديوان البريد، كانت تبتعد عن مبدأ الجدارة عند فيبر. وفي البداية، كان المنصور العباسي ينوي إسناد الشؤون الاستخباراتية إلى عائلته، لكنه في النهاية أوكل هذه المسؤولية إلى الموالي والعبيد حفاظا على مكانة عائلته الاجتماعية. (ابن الأثير، ١٣٧١هـ: ٢٨٧/٩) وهذا التناقض يظهر التفاعل المعقد بين مبادئ البيروقراطية والواقعيات التاريخية.

من السمات الفريدة لديوان البريد العباسي زيادة السرعة في نقل المعلومات. ففي عهد المهدي العباسي، تم إنشاء محطات بريدية في طريق مكة والمدينة واليمن (ابن الأثير، ١٣٧١هـ: ٢٠/١٠)، وخلال الحروب ضد الروم، كانت أخبار ساحة المعركة تنقل بسرعة إلى مركز الخلافة. (القلقشندي، ١٤٠٧هـ: ٤١٤/١٤) هذه الكفاءة كانت مبنية على نظام منسجم من الطرق البريدية، والخيول السريعة، والموظفين المشاة، وهو ما اعتبره فيبر رمزا للعقلانية التقنية. (فيبر، ١٣٩٤هـ: ٣٤٠)

لقد قدم ديوان البريد العباسي بمزيج من البناء الهرمي، والتخصص، والتركيز على المعلومات نموذجا متقدما للبيروقراطية التاريخية، لم يلعب دورا في الحفاظ على الأمن وتنظيم الأراضي الإسلامية فحسب، بل عمل أيضا كأداة لتحقيق السلطة المطلقة للخلفاء ورغم التناقضات الجزئية مع مثل فيبر، كان هذا النظام دليلا على محاولة العباسيين لإنشاء دولة مركزية وعقلانية.

أنواع البريد وعوامله التنفيذية في عهد الأمويين والعباسيين

إن نظام البريد في عهد الأمويين والعباسيين، مع تنوع طرق الاتصال والبنية الإدارية المنظمة، كان نموذجا بارزا من البيروقراطية العقلانية لماكس فيبر. (المصدر نفسه: ٣٢٥) هذا النظام، باستخدام أنواع متعددة من وسائل الاتصال مثل البريد البري (راكبا وسائرا على الأقدام)، البريد البحري، والبريد بالحمام الزاجل، والبريد عبر القصب، والبريد عبر السهم، بالإضافة إلى عوامل تنفيذية منظمة، يدل على توافق عميق مع مبادئ بيروقراطية عند فيبر.

وينقسم البريد البري إلى قسمين: راكب، وسائر على الأقدام. في طريقة الركوب، كانوا يستخدمون الخيول والإبل، ويقومون بوضع الأجراس أو السلاسل في أعناقهم لإصدار صوت مميز يعرف باسم "إيقاع البريد" (بالفارسية: آهنگ چاپار) لتسريع الانتقال عبر الطرق. هذه الطريقة تعكس العقلانية الآلية لفيبر التي تركز على تحسين السرعة والكفاءة.

١.البريد الراجل أو الساعي: فقد اعتمد على استبدال الرسل في كل المنازل الثلاثة (حوالي ١٥ كيلومترا) حتى لا يؤدي تعب الرسل إلى عدم نقل الرسالة سريعا. وكانت هذه المشاركة في انجاز العمل مثالا على التخصص في أداء المهام.

٢.البريد البحري: كان يجري باستخدام السفن لنقل الأخبار إلى المناطق الساحلية والجزر، مما أظهر مرونة النظام في التغطية الجغرافية الواسعة.

٣.البريد عن طريق الحمام الزاجل: كان أسلوبا سريعا ومشفرا، وكانت تتطلب تدريبا متخصصا للحمام ونظاما دقيقا.

٤.البريد عبر القصب: ضمن أمان المعلومات من خلال إخفاء الرسالة داخل القصب وطفوها في النهر. هذه الطرق كانت موافقا مع آراء فيبر حول القوانين المكتوبة والتنميط، واستفادت من الإبداع في التشفير.

٥.البريد عبر السهم: كان يستخدم في الحروب أو المناطق القريبة، حيث ترسل الرسائل بواسطة سهم مع رسالة، مما يدل على التطبيق العملي للنظام في ظروف الطوارئ. (زيدان، ٢٠٠٠: ١/١٨٥-١٨٦)

كان للعوامل التنفيذية للبريد بناء هرمي متخصص. وكما ذكر سابقا، كان صاحب البريد على رأس هذا النظام ومسؤولا عن الإشراف على التشكيلة بأكملها، وكان يجب أن يكون صادقا وموثوقا به. (كردعلي، ١٣٧٤هـ: ١٩٣/١) وكان الرسل _سواء أكانوا راكبين أم مشاة_ مسؤولين عن النقل المادي للرسائل. والشغريون كانوا مسؤولين عن نقل رسائل الأمراء إلى ديوان البريد. أما العيون (المراقبون/الجواسيس) فكانوا يجمعون المعلومات ويقدمون تقارير غير متحيزة وفق مبدأ عدم الشخصية عند فيبر. وموظفو فتح الرسائل كانوا يضمنون الأمن والالتزام بالقوانين عبر فتح الرسائل المختومة فقط بحضور المستلم. (زيدان، ١٣٧٩هـ: ١٨٦)

قدم هذا النظام، رغم التناقضات الجزئية، نموذجا تاريخيا للبيروقراطية العقلانية، حيث لعب التسلسل الهرمي الإداري، وتقسيم العمل المتخصص، والتركيز على الكفاءة دورا محوريا فيه. إن تدريب الرسل، وتوحيد أساليب نقل الرسائل، والمراقبة الدقيقة لأداء العوامل، كلها كانت تظهر محاولة لإنشاء بناء قائم على مبادئ فيبر.

تقييم تشابه وظائف ديوان البريد في الدولتين الأموية والعباسية

في خلافتي الأمويين والعباسيين كان يطلق على المسؤول الخاص الذي يتولى أمر البريد لقب صاحب البريد. (القلقشندي، ١٤٠٧هـ: ٤/٤١٠) وهو الذي كان يرأس ديوان البريد أو البريد المركزي ويعمل تحت إشراف صاحب ديوان البريد، وكان هؤلاء أصحاب البريد مسؤولين بدورهم عن إيصال جميع الأخبار والمعلومات المتعلقة بالشؤون

السياسية والقضائية والاقتصادية وكل ما يتعلق بأمن البلاد ومصالح الدولة إلى مركز الحكومة. (زيدان، ١٣٦٩: ١٨٥)

وكان صاحب البريد في بعض الأحيان يعد مرجعا للأخبار وكان بمثابة جاسوس وعميل خاص، إذ كان عين الخليفة وأذنه، لأنه إلى جانب إشرافه على منظمات البريد، كان رئيس نظام الاستخبارات الذي تعد كل منظمات البريد تابعة له، ولذلك كان يطلق عليه صاحب البريد والأخبار. (ابن حوقل، ١٣٦٦:١٦٥ و١٦٠)

وكان يعمل بموجب هذا اللقب كمفتش عام وممثل سري للحكومة المركزية، وفي كل مكان كان الجواسيس والمخبرون الموثوق بهم الذين كانوا يعرفون في ذلك الوقت بال "منهي"، يزودونه بكل ما يحدث سواء أكان بسيطا أم كبيرا، حتى الأمور الخفية وأساليب تعامل الموظفين مع الناس. وكان يعين شخص مطلع على عادات وتقاليد ديوان البريد وموثوقا من رئيس الديوان والخليفة لمساعدته وكان يسمى (نائب البريد). كما كانت أخبار الجيش تصل عن طريق صاحب البريد إلى المسؤولين المعنيين في الحكومة. (أنوري، ١٣٧٣:١٩٢) وكان يشترط أن يكون حاضرا عند تفقد الجيش وأثناء دفع رواتبهم. (أمير علي، ١٤٠١:٤٠٨) وفي الواقع، كان لكل مدينة صاحب البريد وهو ينقل الأخبار إلى الحكومة المركزية. وكانت الأخبار المرسلة من أصحاب البريد في المناطق المختلفة إلى ديوان البريد المركزي تنقل بواسطة رسل يقطعون المسافات الطويلة بسرعة كبيرة. (أنوري، ١٣٧٣: ١٨٦-١٨٧) كان عمل صاحب البريد ذا أهمية بالغة بين الدوائر الحكومية من حيث علاقتها بالمركز، لأنه بالإضافة إلى إدارة البريد الحكومية، كان ملزما بتزويد المعلومات السرية حول تصرفات موظفي الحكومة، لاسيما الحكام ونواب الخليفة وأمرائهم. وكان هؤلاء يخافون صاحب البريد ويحترمونه لأنهم يعلمون أنه يراقب كل عمل يرتكبونه وكانت مكافحة أصحاب البريد صعبة، لأنهم كانوا تابعين مباشرة للسلطات المركزية. (بيغولوسكايا، ١٣٥٤:١٨٠)

نوظرا لأهمية المهام والمناصب، كان يجب أن يكون هؤلاء الأشخاص أمناء وصادقين، ويتم اختيارهم بدقة، وعادة ما كانوا ينتخبون من عائلات رؤساء البريد القدامى، وكانوا يتلقون التعليم في التجسس منذ الصغر، وأحيانا كانوا يحصلون على دعم من جواسيس محترفين. كان السياسيون الثائرون يخافون من هؤلاء الأفراد ولذلك كانوا يتصرفون بحذر دائما. (أشبولر، ١٣٦٩، ١١٦/٢) كانت الإدارة تسند إلى أشخاص موثوق بهم، ذوي تفكير وحكمة لأن علاقات الخلفاء مع كبار المسؤولين وأصدقائهم وأعدائهم كانت بأيديهم (آبادي، ١٣٥٦:٢٢٠). يقول خواجه نظام الملك في أهمية وظيفة البريد: «يجب أن تسند هذه المهمة إلى أشخاص لا يرتاب فيهم ولا يسعون وراء مصالح شخصية، لأن صلاح الدولة أو فسادها يعتمد عليهم. يجب أن يكون هؤلاء الأشخاص ملتزمين تماما بالملك ويتقاضون منه أجورا لكيلا يلوثهم الفساد والظلم، وأن يخبروا الملك بكل واقعة تحدث». (نظام الملك الطوسي،١٣٦٤:٧٥)

في مقارنة الوظائف المماثلة لديوان البريد في الدولتين الأموية والعباسية، يجب الإشارة إلى الأنشطة الآتية:

١-تمحورت أنشطة هذا الديوان حول أمن الدولة، ونقل الأخبار، والشؤون البريدية والاتصالات، والنقل وتأمين الطرق من هجمات اللصوص، والمراقبة وصيانة الطرق البرية والبحرية وتطويرهما. كان هذا الديوان مسؤولا عن البريد ونقل الأخبار والأحكام لضمان التواصل بين الولايات والمدن المختلفة. وفي البداية وظائف البريد كانت تشتمل على نقل الموظفين الحكوميين إلى أماكن عملهم، ونقل الممتلكات والسلع الحكومية، وأخيرا إيصال الأوامر الحكومية أو نقل الناس إلى الخليفة أو الأمير (أشبولر، ١٣٦٩:٢/١١٥-١١٤، زيدان، ١٣٦٩: ١٨٧-١٨٥)

٢-في الأساس، كان ديوان البريد نظاما يخدم أوامر الدولتين الأموية والعباسية. وكان جميع موظفيه من عمال الحكومة ويتلقون الرواتب، ولكن في بعض الأحيان كانوا ينقلون رسائل خاصة للأفراد، وكان كبار الدولة يستطيعون أيضا استخدام البريد لإرسال رسائلهم. كانت هناك أرباح مالية من نقل الرسائل للدولة، لكن مقدار الأجرة غير معروف. وكانت نفقات إرسال الرسائل والبضائع والأخبار العاجلة تدفع بعد وصولها إلى الوجهة. وفي القرن الرابع الهجري، كانت إيرادات بريد بغداد تصل إلى ثلاثين ألفا ومئتين وخمسين دينارا سنويا للحكومة. (أمير علي، ١٤٠١: ٤٠٨)

٣-كان يستخدم ديوان البريد للأمور العسكرية، والتجسس على جيش العدو، ونقل الجيش والمعدات الحربية

٤-كان ديوان البريد يقوم بإرسال كل ما يتعلق بالخليفة والحكومة ويستلزم الإرسال سريعا، كإرسال التمر الطازج للخليفة المأمون. (طبرى،١٣٦٣:١٣/٥٧٧١)

٥-تلفيق الشائعات ونشرها لصالح الحكومة والكشف عن مصادر الشائعات الكاذبة أو الضارة بالحكم. كان هذا الديوان يقوم حتى بأعمال دعائية لصالح الدولة، إذ كانوا يوظفون أحيانا عددا من القصاصين لتسلية الناس وفقا للأوضاع والمصالح الحكومية الراهنة، وذلك لمنعهم من الاطلاع على أحوال البلاد. وفي عهد الخلفاء، كان بعض طلاب العلوم والدارسين والشعراء يكسبون رزقهم عن طريق إرسال الأخبار، وكان بعضهم يعين في منصب رئيس البريد لإرضائهم وإجبارهم على الصمت بالعطايا والجوائز. (متز، ١: ١٣٦٢/٩٧)

٦ -كان جواسيس البريد يتجسسون بدوافع شخصية، ومادية، وللحصول على مناصب حكومية، وأحيانا يتجسسون بالإكراه. وعادة لم يكن هؤلاء الأفراد ينتمون إلى طبقة اجتماعية معينة، بل كانوا من جميع طبقات المجتمع في الأغلب.

٧-جمع المعلومات والأخبار والتجسس على أوضاع المدن والأراضي المجاورة، وتصرفات الحكام والأمراء وكذلك العاملين في الحكومة، وفحص أعمالهم ومراقبة سلوكهم، هو جانب آخر من أوجه التشابه في عمل ديوان البريد في كلتا الدولتين.

٨- كان نظام التجسس الفعال يزيد من قوة الحكومة، فلذا ظهور أي ضعف فيه أو انقطاع الاتصال المعلوماتي، وقطع إيصال الأخبار والبريد بين الولايات، وخاصة بين قادة الجيش، كان أحد عوامل سقوط الخلفاء الأمويين والعباسيين. ومن الأمثلة على ذلك انقطاع العلاقة البريدية بين العراق وخراسان في أواخر حكم الأمويين (قلقشندي، ١٤٠٧: ٤١٣/١٤) وكذلك انقطاع الاتصال البريدي للخليفة مع ولي العهد وعماله في فترة خلافة الأمين كان نموذجا آخر لهذا الأمر. إذ أدى تعيين الأمين لابنه موسى وليا للعهد إلى اعتراض المأمون وانقطاع العلاقة البريدية بين خراسان وبغداد. (طبري، ١٣٦٣: ٤١١٥/١٢)

النتائج

تظهر دراسة ديوان البريد في الدولتين الأموية والعباسية أن هذا النظام، بوصفه نموذجا لما قبل الحداثة في البيروقراطية، كان يؤدي دورا محوريا في الحفاظ على التماسك السياسي والأمن الداخلي وإدارة الأقاليم الإسلامية الشاسعة. وبالاعتماد على نظرية البيروقراطية لماكس فيبر، يمكن أن نرى أن بنية ديوان البريد وعمله كان يتبع العديد من مبادئ فيبر كالتسلسل الإداري، وتقسيم المهام المتخصصة، والتنميط، والتركيز على العقلانية الأداتية. فيمكن أن نشير إلى نتائج البحث في عدة محاور رئيسة ونجيب عن أسئلة البحث على النحو الآتي:

١-في العصرين الأموي والعباسي على حد سواء، كان ديوان البريد يعمل بمثابة "عين الخليفة وأذنه"، حيث كان يجمع وينقل المعلومات من أقصى نقاط الإمبراطورية عبر شبكة واسعة من الرسل والجواسيس والمراسلين. ولم يكن هذا الديوان فعالا في مراقبة الموظفين واحباط المؤامرات فقط، بل كان له تأثير في المجالات الاقتصادية والعسكرية وحتى الثقافية.

٢- على الرغم من أن ديوان البريد في كلا العهدين ارتكز في جوهره على محور جمع المعلومات ونقلها، إلا أنه توجد بينهما اشتراكات وفروق هيكلية وتنظيمية، منها:

- كان القاسم المشترك الرئيس لديوان البريد في العصرين هو التركيز على "المعلومات" بوصفها العمود الفقري للحكم. لقد حول الأمويون هذا النظام، مستلهمين إياه من الأنظمة البريدية الساسانية والرومانية، إلى أداة للرقابة المباشرة والسيطرة على الإقليم، في حين قام العباسيون، من خلال إنشاء "ديوان البريد والخبر"، بتنظيم نظام التجسس بشكل أكبر واستغلوه لإدارة الأزمات الاقتصادية واستقصاء الآراء.

- كما أن الاختلافات البنائية كانت ملحوظة: فقد زاد العباسيون من كفاءة هذا النظام بإنشاء ٩٣٠ مركزا للبريد واستخدامهم لأساليب أكثر تقدما مثل التشفير والحمام الزاجل. ومع ذلك، فإن تعيين بعض المسؤولين من

عائلات محددة أو الخصيان في كلا العهدين، كان يشير إلى بعد نسبي عن مبدأ الجدارة المطلق الذي نظره فيبر.

– اتسم ديوان البريد في العهد الأموي ببناء أبسط وأكثر تركيزا، إذ غلب عليه الطابع العسكري والأمني. وكانت إدارته تسند غالبا إلى أشخاص موثوقين من قبل الخليفة، ينتمون عادة إلى الأسر القريبة منه، وتكونت سلسلته الإدارية من عدد محدود من الرسل، والعيون، وصاحب البريد. وكانت مهمته الأساسية هي السيطرة على التمردات القبلية، ومراقبة الولاة، ونقل الأخبار السياسية العاجلة.

– تحول ديوان البريد في العهد العباسي إلى نظام بيروقراطي ذي بناء أكثر تعقيدا. وتغير اسمه إلى "ديوان البريد والخبر". في تلك الفترة، أنشئ أكثر من تسعمائة وثلاثين مركزا بريديا. فربط العباسيون هذا الديوان بسائر الدواوين، ووسعوا مهامه لتتجاوز الأمور الأمنية كمراقبة الأسعار، وتسجيل التحولات الاقتصادية، وجمع التقارير الاجتماعية واستطلاع الرأي العام، واستخدام وسائل حديثة مثل الترميز والحمام الزاجل لنقل الرسائل.

– وبناء على ذلك، أصبح بناء ديوان البريد في العهد العباسي نظاما أكثر تنظيما، حيث كان لديه تسلسل هرمي ووظائف متنوعة أكثر مقارنة بنظيره الأموي، وكان ذا بنية أكثر عقلانية، فتحول من مجرد نظام أمني إلى شبكة إدارية واستخباراتية معقدة ذات أبعاد متنوعة.

– وبناء على ما سبق، يمكن القول أن ديوان البريد، سواء أكان العهد الأموي أم في شكله المتطور في العهد العباسي، يعد مثالا واضحا لجهود الدول الإسلامية في إرساء نظام إداري ومعلوماتي واتصالي يقوم على العقلانية. إذ كان للضعف أو الاضطراب في هذا النظام، كانقطاع الاتصال البريدي بين العراق وخراسان في أواخر العصر الأموي أو أزمة التواصل بين الأمين والمأمون في العصر العباسي، تأثير مباشر على انهيار السلطة أو عدم استقرارها.

– أظهرت هذه الدراسة المقارنة أن ديوان البريد في كلا الفترتين يحتوي على العناصر الأساسية لبنية البيروقراطية عند فيبر، حيث يتمتع بتسلسل إداري واضح، وتقسيم تخصصي للمهام، وقوانين وتعليمات مكتوبة، والاعتماد على الموضوعية في اتخاذ القرارات. ومع ذلك، فإن تطبيق هذه المبادئ في العصر الأموي كان أقرب إلى النموذج الأولي وبقي بشكل غير منظم، بينما في العصر العباسي وصل إلى مرحلة النضج العقلاني التي حولته من أداة للسلطة إلى نظام إداري مستقل. وعلى الرغم من التعيينات المبنية على الانتماء العائلي أو البلاطي، فإن الميل نحو النظام والتدريب والانضباط القانوني يدل على قربه المتزايد من النموذج العقلاني لفيبر.

– إن الوظائف المتعددة لديوان البريد، بدءا من نقل الرسائل والبضائع ووصولا إلى التجسس والدعاية، جعلته نظاما حيويا. كانت التقارير اليومية عن مستوى معيشة الناس وأسعار السلع وأداء الولاة تمكن الخلفاء من اتخاذ قرارات سريعة. أيضا ظهور الضعف أو انقطاع الاتصالات لهذا النظام يعد عاملا رئيسا في سقوط الأمويين وتفاقم النزاعات

الداخلية في الدولة العباسية. هذا الأمر، وفقا لنظرية فيبر، هو دليل على أن البيروقراطية لم تكن مجرد أداة للإدارة، بل جزءا لا يتجزأ من البنية السياسية للسلطة.

فيمثل ديوان البريد نموذجا تاريخيا لمحاولات الحكومات الإسلامية لإنشاء آليات عقلانية ومركزية لإدارة الإمبراطوريات الشاسعة. على الرغم من أن هذا النظام كان مصحوبا بقيود تاريخية وانحرافات طفيفة عن المثالية الفيبرية، إلا أنها نجحت في تقديم نموذج فعال للبيروقراطية ما قبل الحداثة. إن الدراسة المقارنة لهذا النظام لا تمنح فهما أفضل لطبيعة الحكم في العالم الإسلامي فحسب، بل تظهر أيضا كيف شكلت "المعلومات" _كسلاح غير مرئي _ أسس استقرار الدول وسلطتها.

المصادر والمراجع

- ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد. (١٣٧١ هـ)، *الكامل في التاريخ* (المجلدات ٣ و٩ و١٠)، ترجمة أبو القاسم حالة وعباس خليلي، طهران: مؤسسة المطبوعات العلمية.
- ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن حوقل. (١٣٦٦ هـ)، *صورة الأرض*، ترجمة وتعليق جعفر شعار، طهران: أميركبير.
- ابن خرداذبه، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله. (١٣٧٠ هـ)، *المسالك والممالك*، ترجمة حسين قره جانلو، طهران: نشر مترجم.
- أشپولر، برتولد. (١٣٦٩ هـ)، *تاريخ إيران في القرون الإسلامية الأولى* (المجلد ٢، ترجمة مريم مير أحمدي)، طهران: علمي فرهنگي.
- أمير علي. (١٤٠١ هـ)، *تاريخ العرب والإسلام*، ترجمة فخر داعي جيلاني، طهران: گنجينة.
- انصاف بور، أحمد. (١٣٥٦ هـ)، *بناء الدولة في إيران*، طهران: أميركبير.
- أنوري، أحمد. (١٣٧٣ هـ)، *مصطلحات الدواوين في عهد الغزنويين والسلاجقة*، طهران: مكتبة طهوري.
- آبادي، محمد. (١٣٥٦ هـ)، *دراسة حول البريد*، *مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة أذربيجان تبريز*، ٢٩(١٢٢)، (صص ٢٣٩-٢٠٨).
- بادكوبه هزاوه، أحمد، تاجبخش، قدريه (١٤٣٠ هـ)، "تطورات ديوان البريد في عهد حكومة بيبرس في مصر والشام"، *دراسات في العلوم الإنسانية*، ١٦(٤)، (صص ٢٩-٤٢).
- بلعمي، محمد بن محمد. (١٣٨٩ هـ)، *تاريخ الطبري* (المجلد ٢)، تحقيق محمد روشن، طهران: انتشارات سروش.
- بيغولوسكايا، ن. و. وآخرون. (١٣٥٤ هـ)، *تاريخ إيران من العصور القديمة إلى القرن الثامن عشر الميلادي*، ترجمة

كريم كشاورز، طهران: پيام.
- ثواقب، جهانبخش (١٣٩٦ هـ)، "الوظيفة السياسية – الأمنية لديوان البريد في الخلافة الإسلامية"، *تاريخ الثقافة والحضارة الإسلامية*، ٢٦(ب)، (صص ٩١-١١٦).
- حتى، فيليب خليل. (١٣٦٦ هـ)، *تاريخ العرب* (المجلد ٢، ترجمة أبو القاسم باينده)، طهران: انتشارات آگاه.
- حسن، إبراهيم حسن. (١٣٧١ هـ)، *التاريخ السياسي للإسلام* (المجلد ٢، ترجمة أبو القاسم باينده)، طهران: منظمة انتشارات جاويدان.
- حموي، ياقوت. (١٩٩٣ م)، *معجم الأدباء*، تحقيق إحسان عباس، بيروت: دار صادر.
- الخضري، محمد بك. (١٤٢٣ هـ)، *الدولة الأموية*، بيروت: المكتبة العصرية.
- زيدان، جرجي. (١٣٦٩ هـ)، *تاريخ الحضارة الإسلامية*، ترجمة علي جواهر كلام، طهران: أميركبير.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. (١٣٦٣ هـ)، *تاريخ الأمم والملوك* (تاريخ الطبري) (المجلدات ١١-١٣، ترجمة أبو القاسم باينده)، طهران: أساطير.
- قلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (١٤٠٧ هـ)، *صبح الأعشى في صناعة الإنشاء* (المجلد ١٤)، بيروت: دار الكتب العلمية.
- كردعلي، محمد. (١٣٧٤/١٩٥٤ هـ)، *رسائل البلغاء – رسالة عبد الحميد الكاتب في نصيحة ولي العهد* (المجلد ١)، القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر.
- كسائي، نور الله، برغنيسى، ناديا. (١٣٧٦ هـ)، "البريد"، *موسوعة العالم الإسلامي* (المجلد ٣)، طهران: مؤسسة دائرة المعارف الإسلامية.
- متز، آدم. (١٣٦٢ هـ)، *الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري* (المجلد ١)، ترجمة عليرضا ذكاوتي قراگزلو، طهران: أميركبير.
- مسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين. (١٣٦٠ هـ)، *مروج الذهب ومعادن الجوهر* (المجلد ٢)، طهران: دار الترجمة والنشر.
- مسلمي، شهناز (١٣٩٢ هـ)، "دراسة مقارنة لديوان الإشراف والبريد في عهد الغزنويين والسلاجقة"، *مجلة التاريخ والبحث*، ٥٧، (صص ٢٣-٤١).
- نظام الملك الطوسي، أبو علي حسن بن علي. (١٣٦٤ هـ)، *سياسة نامه أو سير الملوك*، تحقيق جعفر شعار، طهران: مطبعة سپهر.

- ويبر، ماكس. (١٣٩٤ هـ)، *الاقتصاد والمجتمع*، ترجمة عباس منوچهري وآخرون، طهران: انتشارات سمت.

References

- Abadi, Mohammad. (1977), "A Study on the Barid." *Journal of the Faculty of Literature and Human Sciences of Azerbaijan (Tabriz)*, 29(122), pp. 208–239.
- Ansafpour, Ahmad. (1977), *State Formation in Iran*. Tehran: Amir Kabir.
- Anvari, Ahmad. (1994), *Administrative Terminology in the Ghaznavid and Seljuk Periods*. Tehran: Sokhan & Tahouri Library.
- Badkoubeh Hazaveh, Ahmad, & Tajbakhsh, Qadriyeh. (1430 AH), "The Development of the Diwan al-Barid during the Reign of Baybars in Egypt and Syria." *Dirasat fi al-'Ulum al-Insaniyyah*, 16(4), pp. 29–42.
- Bal'ami, Muhammad ibn Muhammad. (2010), *Tarikhnameh-ye Tabari* (Vol. 2), Edited and Annotated by Mohammad Roshan. Tehran: Soroush Publications.
- Hassan, Ibrahim Hassan. (1992), *The Political History of Islam* (Vol. 2), Translated by Abolqasem Payandeh. Tehran: Javidan Publications Organization.
- Hitti, Philip K. (1987), *History of the Arabs* (Vol. 2), Translated by Abolqasem Payandeh. Tehran: Agah Publications.
- Ibn al-Athir, Izz al-Din Ali ibn Muhammad. (1992), *The Complete History of Islam and Iran* (Vols. 3, 9, 10), Translated by Abolqasem Halat and Abbas Khalili. Tehran: Elmi Press Institute.
- Ibn Hawqal, Abu al-Qasim Muhammad ibn Hawqal. (1987), *The Travels of Ibn Hawqal: Iran fi Surat al-Ard*. Translated and Annotated by Jafar Shoar. Tehran: Amir Kabir.
- Ibn Khordadbeh, Abu al-Qasim Ubayd Allah ibn Abd Allah. (1991), *Kitab al-Masalik wa al-Mamalik*. Translated by Hossein Gharehchanlou. Tehran: Nashr-e Motarjem.
- Kard Ali, Muhammad. (1954/1374 AH), *Rasa'il al-Bulagha': Risalat Abd al-Hamid al-Katib fi Nasihat Wali al-'Ahd* (Vol. 1), Cairo: Lajnat al-Ta'lif wa al-Tarjamah wa al-Nashr.
- Kasai, Nourallah, & Bargnisi, Nadia. (1997), "Barid." In *Encyclopaedia of the World of Islam* (Vol. 3), Tehran: Foundation of the Islamic Encyclopaedia.

- Khudari, Muhammad Beyk. (1423 AH), *Al-Dawlah al-Umayyah*. Beirut: Al-Maktabah al-'Asriyyah.
- Mas'udi, Abu al-Hasan Ali ibn al-Husayn. (1981), *Muruj al-Dhahab wa Ma'adin al-Jawhar* (Vol. 2), Tehran: Translation and Book Publishing Institute.
- Metz, Adam. (1983), *Islamic Civilization in the Fourth Century AH* (Vol. 1), Translated by Alireza Zekavati Qaragozlu. Tehran: Amir Kabir.
- Moslemi, Shahnaz. (2013), "A Study and Comparison of the Diwan al-Ishraf and Diwan al-Barid in the Ghaznavid and Seljuk Periods." *Historical Research*, 57, pp. 23–41.
- Nizam al-Mulk Tusi, Abu Ali Hasan ibn Ali. (1985), *Siyasatnama (The Book of Government) or Siyar al-Muluk*. Edited by Jafar Shoar. Tehran: Sepehr Press.
- Pigulevskaya, N. V., et al. (1975), *History of Iran from Antiquity to the Eighteenth Century*. Translated by Karim Keshavarz. Tehran: Payam.
- Qalqashandi, Abu al-Abbas Ahmad ibn Ali. (1407 AH), *Subh al-A'sha fi Sina'at al-Insha'* (Vol. 14), Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah.
- Sayyid Amir Ali. (1401 AH), *The History of the Arabs and Islam*. Translated by Fakhr Da'i Gilani. Tehran: Ganjineh.
- Spuler, Bertold. (1990), *The History of Iran in the Early Islamic Centuries* (Vol. 2), Translated by Maryam Mir Ahmadi. Tehran: Elmi-Farhangi Publications.
- Tabari, Abu Ja'far Muhammad ibn Jarir ibn Yazid. (1984), *Tarikh al-Umam wa al-Muluk (The History of al-Tabari)* (Vols. 11–13), Translated by Abolqasem Payandeh. Tehran: Asatir Publications.
- Thavaqeb, Jahanbakhsh. (2017), "The Political and Security Functions of the Diwan al-Barid in the Islamic Caliphate." *History of Islamic Culture and Civilization*, 26(B), pp. 91–116.
- Weber, Max. (2015), *Economy and Society*. Translated by Abbas Manouchehri et al. Tehran: SAMT Publications.
- Yaqut al-Hamawi. (1993), *Mu'jam al-Udaba'*. Beirut: Edited by Ihsan Abbas.
- Zaydan, Jurji. (1990), *History of Islamic Civilization*. Translated by Ali Javaherkalam. Tehran: Amir Kabir.

The Bureaucratic Structure of the Diwan al-Barid in the Umayyad and Abbasid Governments: A Study of Their Common Features Based on Max Weber's Theory

Mohammad Hassan Beigi[1]*, Nasrin Gholami Mehrabadi[2]

1. Associate Professor, Department of History, Arak University, Arak, Iran
2. Graduate in Islamic History and History Teacher at the Department of Education, District One, Arak, Iran.

Received date: Accepted date:

Abstract

The *Diwan al-Barid* (Postal Bureau), as one of the most important administrative institutions in the Umayyad and Abbasid states, played a vital role in maintaining political stability, ensuring internal security, and managing regional relations and interactions. Employing a descriptive-analytical method and drawing upon Max Weber's theory of bureaucracy, this study comparatively examines the structure, functions, and developments of the *Diwan al-Barid* during these two periods. The findings indicate that the *Diwan al-Barid* can be regarded as an early example of a pre-modern administrative system that embodied several Weberian bureaucratic characteristics, including hierarchical organization, specialized division of labor, recruitment based on relative merit, and rationality in the transmission of information. The hierarchical structure of this institution consisted of the head of the bureau (*Sahib al-Barid*), couriers and messengers, informants and intelligence agents (*ʿuyun*), as well as personnel responsible for opening and inspecting correspondence. Each group performed specific duties in postal services, intelligence and espionage activities, and supervisory functions. Although the selection of some postal officials from particular families or among professionally trained individuals diverged to some extent from Weber's concept of "absolute meritocracy," the emphasis on specialized training and adherence to ethical principles such as honesty and trustworthiness represented an effort to establish an efficient administrative system. Furthermore, the use

* Corresponding Author: Email: m-hassanbeigi@araku.ac.ir

of communication technologies and methods such as land and maritime postal networks, carrier pigeons, and encryption systems to enhance the speed and security of information transmission reflected the functional rationality of this institution. Moreover, this system played a significant role not only in supervising provincial governors and confronting unrest and rebellions, but also in sustaining the political order of the state. Any weakness in its performance or disruption in its communication network was considered a major factor contributing to the weakening and even the collapse of governments.

Keywords: Diwan al-Barid, Umayyads, Abbasids, Common Features, Max Weber.

ساختار بوروکراتیک دیوان برید در حکومت‌های اموی و عباسی: بررسی اشتراکات بر مبنای نظریه ماکس وبر

محمد حسن بیگی[1]*، نسرین غلامی مهرآبادی[2]

۱. دانشیار، گروه تاریخ، دانشگاه اراک، اراک، ایران.
۲. دانش آموخته تاریخ اسلام و دبیر تاریخ اداره آموزش و پرورش ناحیه یک، اراک، ایران

تاریخ دریافت: تاریخ پذیرش:

چکیده

دیوان برید، به‌عنوان یکی از مهم‌ترین نهادهای اداری در دولت‌های اموی و عباسی، نقشی حیاتی در حفظ ثبات سیاسی، تأمین امنیت داخلی و مدیریت روابط و تعاملات منطقه‌ای ایفا می‌کرد. این پژوهش با تکیه بر روش توصیفی ـ تحلیلی و با بهره‌گیری از نظریه بوروکراسی ماکس وبر، به بررسی تطبیقی ساختار، عملکرد و تحولات دیوان برید در این دو دوره می‌پردازد. یافته‌های پژوهش نشان می‌دهد که دیوان برید را می‌توان نمونه‌ای اولیه از یک نظام اداری پیشامدرن دانست که دارای ویژگی‌های بوروکراتیکِ مورد نظر وبر، از جمله سلسله‌مراتب اداری، تقسیم تخصصی وظایف، استخدام بر پایه شایستگی نسبی و عقلانیت در انتقال اطلاعات بوده است. ساختار سلسله‌مراتبی این دستگاه شامل رئیس دیوان (صاحب برید)، پیک‌ها و پیام‌رسانان، خبررسانان و مأموران اطلاعاتی (عیون) و نیز کارکنان مسئول گشودن و بررسی نامه‌ها بود که هر یک وظایف مشخصی در حوزه‌های پستی، اطلاعاتی ـ جاسوسی و نظارتی بر عهده داشتند. هرچند گزینش برخی از مسئولان برید از میان خاندان‌های خاص یا افراد دارای آموزش‌های حرفه‌ای، تا اندازه‌ای با مفهوم «شایسته‌سالاری مطلق» مورد نظر وبر فاصله داشت، اما تأکید بر آموزش تخصصی و پایبندی به اصول اخلاقی همچون صداقت و امانت‌داری، تلاشی در جهت ایجاد یک نظام کارآمد به شمار می‌آمد. افزون بر این، بهره‌گیری از فناوری‌ها و شیوه‌های ارتباطی نظیر برید زمینی و دریایی، کبوتران نامه‌بر و نظام‌های رمزگذاری، به‌منظور افزایش سرعت و امنیت انتقال اطلاعات، بازتابی از عقلانیت کارکردی این دستگاه بود. همچنین این نظام نه تنها در نظارت بر والیان و مقابله با ناآرامی‌ها و شورش‌ها نقشی مهم داشت، بلکه هرگونه ضعف در عملکرد آن یا اختلال در شبکه ارتباطی‌اش، عاملی مؤثر در تضعیف و حتی سقوط دولت‌ها به شمار می‌رفت.

کلیدواژه‌ها: دیوان برید، امویان، عباسیان، وجوه اشتراک، ماکس وبر.

* نویسنده مسئول: Email: m-hassanbeigi@araku.ac.ir